الأديب

أديب رفيق محمود

أديب رفيق محمود: شاعر الجرح الباكي

لطفي كتانة*

حياته:

فلسطيني من بلدة عنبتا[1] من عائلة الفقهاء، المنتشرة في فلسطين والأردن، المشهورة بالمشيخة والشعر[2] والسياسة، وهي عائلة واكبت الجيوش الإسلامية أثناء الفتوحات، للتعليم والتثقيف في الأمور الدينية بخاصة.

انتقل أبوه من بلدته عنبتا إلى منطقة جنين ليعمل شيخا وإمامًا ومأذونًا في قرية (صير) من أعمال جنين، حيث ولد الشاعر سنة ثلاث وثلاثين من القرن العشرين.

وعند عودة الأسرة إلى بلدها عنبتا دخل أديب المدرسة الابتدائية التي صارت إعدادية، ثم أتم تعليمه الثانوي في المدرسة الفاضلية في طولكرم، والصلاحية في نابلس؛ وتعليمه الجامعي في جامعة بيروت العربية منتسبًا.

قضى أديب كل حياته العملية معلمًا، فعمل في عابود قضاء رام الله، ثم في مخيم نورشمس شرقي مدينة طولكرم، حيث عايش عن قرب مأساة شعبه باللجوء والتشرد وقسوة الحياة والصمود؛ وقد أثر كل ذلك في أدبه أيّما تأثير.

ورد في كلمة التصدير التي استهل بها أديب كتاب (التجربة)[3] "أنا أديب رفيق محمود من مدينة عنبتا فلسطيني الانتماء والتابعية، أبلغ من العمر سبعة وسبعين عاما[4]، عضو في اتحاد

---

* محاضر متقاعد.

[1] الواقعة على بعد عشرة كيلو مترات شرقي مدينة طولكرم ؛ وعشرين كيلو مترا غربي مدينة نابلس، على الشارع العام الواصل بين المدينتين.

[2] من شعراء هذه العائلة، إضافة إلى أديب : جده الشيخ محمود، وعبد الرحيم محمود ومعروف رفيق محمود وطارق عبد الكريم محمود وعبد الرؤوف حمزة وغيرهم.

[3] طبعته السلطة الفلسطينية لما رأت فيه من معلومات وافية صحيحة ومؤثرة عن القضية الفلسطينية.

[4] عام 2010

الأدباء الفلسطينيين، امتهنت الأدب حرفة بعد موهبة موروثة؛ فكتبت الشعر تقليدا سيمتريًا، وشعر التفعيلة، وقصيدة النثر، وكتبت الرواية والنصوص الأدبية. بعد أن تعلمت من جغرافية هذا الوطن العظيم، وجماله وتجربة شعبه التي تتجاوز أقلام كتاب المآسي والملاحم، بمرارتها وحلاوتها، بورودها وأشواكها، ولأنني عملت في مدارس الأخوة اللاجئين، تعلمت الإصرار على الحياة وعلى الحق. واستشرفت الأحلام الوطنية المشروعة، ولأنني أحسست وتألمت وشعرت وعشت، أضع بين يديكَ ويديكِ تجربتي الحيّة التي إن أردنا ردّها إلى جنسها الأدبي قد تكون سيرة ذاتية؛ أو تجربة شعب أو قصة مدينة أو تاريخ وطن، أو رواية ".

إن أديب رفيق محمود شديد الاعتزاز بأسرته والفخر بها، وبأنها أنجبت كوكبة من الشعراء، فهو يردد دائما بأن عائلة (الفقهاء) عائلة شعر وأدب، فظهر فيها الشاعر الوطني الشهيد عبد الرحيم محمود (أبو الطيب)، الذي تولى المقاومة بالشعر مع زميليه وصديقيه إبراهيم طوقان أبي جعفر وعبد الكريم الكرمي أبي سلمى. وقد التحق بالثوار في البداية والتحق بجيش الإنقاذ أخيرا، واستشهد في معركة الشجرة شمالي فلسطين ودفن في الناصرة التي أحبها وأحبته[1]. وهنا يجب علي أن أشير إلى أن الشاعر أديب تولى رئاسة اللجنة التي كلفت بجمع تراث الشاعر عبد الرحيم محمود، سنة 1984م برعاية جمعية "الصوت" في الناصرة، ثم برعاية مركز التراث العربي في مدينة الطيبة.

[1] يرى أديب في (ناصرة المسيح) حيث أقيم ضريح ونصب تذكاري للشاعر عبد الرحيم محمود، ومن حوله الشعراء الأبرار انها بلد الضيافة والحضانة، فهي ملهمة الشعراء والأدباء وموطنهم: المدينة الخالدة التي مدحها الشاعر (أديب) بمطولة تبلغ ثمانين بيتا من الشعر، وهي التي استضافت عمه عبد الرحيم حيا وميتا، وقد استهلها الشاعر بقوله :

كيف انفردت به يا زينة المدن يا قلعة من قلاع المجد لم تهن
يا ديمة جاوزت حد البحور ندى وما أضاعت صنيعا سرَّ بالمنن

إذ صدر للشهيد الشاعر ديوان بعنوان "روحي على راحتي: ديوان عبد الرحيم محمود" [1] وحيث صدر عن الشاعر أديب كتاب "عبد الرحيم محمود بين الوفاء والذكرى" ومن باب إتمام هذا الحديث عن هذه العائلة فإن أديب يلي عمه الشاعر الشهيد في مزاولة مهنة الأدب الملتزم المقاوم، وبعد ذلك يبرز (معروف) شقيق أديب الذي عاش في قطر وقد ترك إصدارات أدبية مهمة كمًّا ونوعًا. وكذلك الشاعر الأديب طارق عبد الكريم محمود.

وعلمت بعد ذلك أن "الفقهاء" أنجبت شعراء آخرين ممن لم يكملوا المشوار بعد.

وحين يتحدث (أديب) عن أسرته يعود إلى الوراء إلى مطلع القرن الماضي فيذكر لنا أن الشيخ محمود والد (عبد الرحيم) وجدّ (أديب)، كان الشاعر الذي لا يجارى في الدفاع عن الفلاحين أمام "أهل المدن". ويكرر أديب القول حين يتحدث عن الأدب في أسرته "إن وجود (عائلة شاعرة) يثير مسألة قد يكون جوابها كامنا في البيئة أو الجينات أو غير ذلك مما لم يجب عليه آل طوقان وآل برونتي".

أديب رفيق الشاعر:

ولد الشاعر سنة 1933م، ومازال شاعرًا جمّ النشاط، وهو كما يذكر دائما بأنه يضع شاعريته على المحكّ بالنشاط التثقيفي؛ ولا يوافق الشاعر الأندلسي ابن خفاجة حيث يقول:

أي نوم أو غذاء أو سِنة لابن إحدى وثمانين سَنة

انه يمارس نشاطه الأدبي في المخيمات والقرى والمدن تحت راية مكتب وزارة الثقافة الفلسطينية وجناح مكتب وزارة التعليم في محافظة طولكرم، كما يقول، وبدا ذلك جليًا عام 2009 حينما سميت القدس "عاصمة الثقافة العربية"، وللتأكيد على نشاطه الذي لا تقف في

[1] حققه وقدم له حنا أبو حنا، وصدر عن مركز إحياء التراث: الطيبة المثلث، 1985، وأخرجه فنيا، مكتب الكرمل بحيفا وقامت بالتنفيذ والتصوير والاستنساخ "الصوت" جمعية لنشر الثقافة وتعميق الوعي الفلسطيني. أما أعضاء اللجنة الأدبية لتكريم عبد الرحيم محمود فهم الأساتذة : أديب رفيق محمود، جمال قعوار، طه محمد علي عصام العباسي.

طريقه الشيخوخة، نتذكر مؤلفه الأخير "ورد وزرد" الذي كتبه عام 2012، وهو يشارف على التاسعة والسبعين من العمر.

لقد كتب الشاعر أديب الشعر بأشكاله الثلاثةْ، وإن شعره السمتري التقليدي يظل ضمن حوالي 500 بيت فقط، وينحصر في المراثي والحب والعلاقات الاجتماعية، وتخرج عن هذه الأغراض الشعرية قصيدته (رحلة إلى القمر) [1].

أما إنتاجه الشعري القائم على التفعيلة فمحصور في الدواوين التالية: (صلوات على مذبح الحياة والموت)، (أحلام الدائرة الصغيرة)، (طير أزرق وجذوع بنيّة)، (أكمام تحت الجليد)، (وردة بين الرماد)، (جفرا وقصائد أخرى).

أما قصائد النثر، أو الشعر المنثور، أو الشعر في النثر فهي في الديوانين التاليين: (أوراق الخريف)، و (ورد و زرد)، وإذا اعتبرنا كتب النصوص قصائد نثر، فأننا نضيف (أصداء في حديقة المعدن)، و(الجديد والمعاد تحت شرفة شهرزاد).

يبدو لقارئ أدب (أديب رفيق محمود) أن الشاعر يميل اليوم إلى كتابة الشعر المنثور، أو قصيدة النثر، بل إنه يكثر من الإنتاج على هذا الشكل الجديد، ويصرخ في وجوه المحافظين على التقاليد الشعرية العربية القديمة قائلا : "إن الشعر التقليدي الكلاسيكي السيميتري قد أُنْهك واستنزف لكثرة استعمال قوافٍ معينة وأوزان معينة، سرق منها الشعراء ما سرقوا وقلّدوا ما قلدوا، وأصبحت كأنها فضاء شعري مشاع يتناول منه المتناولون، ويقلد المقلدون،

[1] فازت هذه القصيدة بمسابقة أجرتها هيئة الإذاعة البريطانية على مستوى العالم العربي عام 1970 وجاء في هذه القصيدة :

إلى لونا، إلى القمر السفار — فقلبي بين جنبي انتظار
دقائق بل ثوان ثم أمضي — إلى العلياء يدفعني انفجار
"وداعا " فكرة غامت وضاعت — فبرق ثم رعد وانفجار
تجلد، راقب العداد حاذر — فهذا البحر ليس له قرار
بمركبة تطير ولا جناح — بليل يستطيل ولا نهار

ويقطف منه القاطفون تراكيب وجملا ومعانيَ وألفاظا طال استعمالها وجسها؛ والأمر يحتاج إلى تجديد وتحديث وتقاليد جديدة كالشجرة تنفض أوراقها اليابسة، لتنمو بدلاً منها أكمام ونموات جديدة.

أما الموسيقى فلم تعد محصورة في سير الإبل والخيل؛ هنالك المحادد والمناجر والسيارات والقطارات والطائرات وهنالك الانفجارات والانهيارات. وهناك صرخة القتل وصرخة المقتول. وهناك أصوات وأنغام داخلية فرحة وحزينة.

اليوم ليس على الشاعر ان يطرب فحسب أو يقنع فحسب، بل عليه علاوة على ذلك أن يرفرف بأجنحة حديثه من الخيال والعلم والثقافة".

بعد هذا الكلام الذي قيل بنغمة خطابية يطلب إلينا الشاعر أديب أن ننظر في قصيدة "حيرة وندم"[1] للرفض أو التأييد أو لمجرد الاطلاع على الأسلوب الحديث :

اقلبْ كل حجر تجد ملاكا/ وافحص كل جذع محطّم ترَ برعما/ وشنف أذنيك لتسمع الصرخة عند كسر الجناح/ وتلك الآهة التي تأتي من سجن/ أو ميدان، أو خيمة لاجئ، أو خيبة محب/ أو جائع هائم في البراري/ في شعري لا تبحث عن الطنطنة والقعقعة/ ابحثْ عن الحقيقة حلوة كانت أو مرة/ مقدمة على طبق من ألفاظ شتى

يجمع بينها التنظيم، والملاءمة، والتنسيق، وكذلك ما سمّاه العرب "النظم".

في حديث مع الشاعر أديب رفيق محمود[2] ذكر لي أن هذا الشعر للقراءة على مقعد في حديقة أو حافلة أو طائرة أو الاسترخاء على سرير ناعس، وليس للإنشاد على منصةٍ انتظارًا

[1] من ديوان (ورد و زرد) ص 33

[2] في واحدة من جلساتنا الكثيرة يشكو الشاعر أديب من عدم مساعدته في إخراج كثير مما كتب إلى النور، فقد كتب عن الانتفاضة الأولى الكثير، ويذكر بأنه كتب عنها مئة وأربعًا وسبعين رباعية؛ وهو اليوم يستنجد بحماة الكلمة أولئك الذين طبعوا وأصدروا كتاب (التجربة) أن يساعدوا في إصدار هذه الرباعيات ليضيفها إلى ما يسميه الشعر التقليدي المتطور المنظم.

للتصفيق والهتاف كثمن لا يعادل آهة سرية، أو دمعة لا تُرى، أو ابتسامة غامضة، أو قبولاً، أو رفضًا في جو من السكوت والفهم والتأثر.

ولا يُخفي الشاعر أديب بل يصرح دائما بقوله " أحب أن أُذكر في تاريخ الأدب أنني شاعر مجدد يدعو إلى التحديث، مثل الماغوط وغالي شكري وفؤاد حداد وسرجون بولص وغيرهم. وهذا افضل بكثير من كلمة شاعر (حاف)، فالشعراء كُثر، أمّا المجددون فقلائل، ونحن بحاجة إلى شعر جديد يحمل بعض جينات وراثية سليمة من القديم ".

أما عن قراءاته الأدبية والشعر منها بخاصة، فيقول أديب بشيء من الزهو بأنه شاعر مثقف مطلع على كثير من الشعر القديم الذي أبدعه أجدادنا مثل المتنبي والبحتري، وأمثال أمل دنقل وخليل حاوي ونازك الملائكة ومحمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وعبد الرحيم محمود وغيرهم الكثير.

أما عن الشعر في الأدب الغربي فيقول : إنه قرأ وتأثر به ما تأثر وهو يفتخر بأنه قرأ باوند وإليوت وبيتس وتأثر بهم : عن الأول (باوند) تأثر بالإيماجية الصورية (imagism) شريطة أن تكون هناك علاقة حية بين القصيدة ومشاكل العصر.

أما بإليوت فأعجب بالأرض اليباب، وبالرباعيات، وخلاصه من ربقة الشعر الإنجليزي القديم.

أما بيتس فقد حمله على البحث عن الخلاص والخلود فيما تركه الأجداد من تراث وفن.

واستكمالا للبحث، نرى أنّه لا بد من التعريج على أربعة مضامين أخرى، ظهرت جلية في أدب الشاعر؛ وهي الطبيعة والجغرافيا، والحب والمرأة، والحياة والموت، والحرب والسلام؛ وقال لي الشاعر أديب تستطيع أن تضيف إليها موضوعا خامسًا أسميه (بوار الحضارة).

1- الطبيعة والجغرافيا:

عند اغتراب أسرة الشاعر عن بلدتها عنبتا واستقرارها في قرى جنين وفي قرية (صير) حيث ولد الشاعر؛ وجد نفسه معزولاً وحيدًا تقريبا، لأن أسرته محافظة متدينة بطبعها؛ فلم يجد أديب أولئك الأطفال الذين يمكن أن يخالطهم ويشاركهم اللعب؛ ولذلك بحث عن أصدقاء، وعن عالم للتعويض عن النقص الحاصل، فانطلق في أحضان الطبيعة: أشجارها وصخورها وترابها وحجارتها وغيومها ومطرها وصحوها ورياحها وطيورها وحيواناتها، ونشاط الفلاحين ومواسم القطاف والحصيد والبيادر، وكم أغراه منظر معين أو جبل أو سفح أو قمة هضبة، أو تلة أو سهل أو حقل أو كرم، فلاحظ واختزن في الذاكرة، ومن هنا نرى أن هذه الظواهر في شعره موصوفة لذاتها أو " موظفة في صور تقرب من المعادل أو البديل الموضوعي؛ وننصت اذ نسمع الشاعر ينعى على الأدباء العرب، وبخاصة الفلسطينيين، نأيَهم تقريبا عن الطبيعة والجغرافيا مع أن المشكلة بيننا وبين (الإسرائيليين) تقوم على جبال وسهول وأشجار وقطع أراض تبلغ في بعض الأحيان مساحة (دولة)، وفي أحيان أخرى تبلغ مساحة شريط مأهول تقوم عليه بضعة بيوت، وكعادته في الرمز فقد طرح الشاعر بأسطر قليلة مشكلة اللاجئين والمشردين وقضية البعد عن الوطن في أجزاء هذه الشجرة المتجذرة في البيت المهجور، وكأن هذه الأجزاء تشير إلى البيت وتطلب من أهله العودة ؛ يقول[1] :

كانت شجرة الزنزلخت/ التي تظلل الدار المهجورة/ تهتز بمئة يد ويد/ وفي كل نهاية يد مائة اصبع/ وكل أصبع مغناطيس أخضر

وجاء في نص (قمة) [2]

ما اسم هذه القمة المتوحدة/ التي تكتسي، قبل غيرها في الصباح الباكر/ بحرير الشمس الأبيض/ وفي المساء، بعد غيرها، تخلع رداءها الشفقي/ لتستقبل وشي النجوم الساقط/ وبذور القمر المستدير

[1] من كتاب النصوص؛ "أصداء في حديقة المعدن" من إصدار وزارة الثقافة الفلسطينية ص 54

[2] من كتاب النصوص "أصداء في حديقة المعدن" من إصدار وزارة الثقافة الفلسطينية ص 14

وفي التقاسيم[1] نقرأ :

عندما تسقط عليها أشعة الصباح/ وقد غرقت ليلا بمطر الربيع/ المس جمال موشورات الماء/ وهي تتحلل إلى ألوان على الصخور

ونصوص الطبيعة لم ترد فجأة لدى الشاعر، وإنما تكونت وتشكلت على صفحة خياله بسبب ملاحظته المستمرة للطبيعة الخلابة وإحساسه بجمالها الذي وهبته له الحياة في ريف جميل من أرياف فلسطين قد تفتحت عيناه على الحياة، حتى أضحت جزءًا منه

صغيرا مرت يدي على الطحلب يكسو أوعية الفخار/ وأعجبت بالصدأ يكسو سيقان البلوط/ وطفت حول الزيتون الذي رانت عليه الألوان

ثم يقول :

أيها القلب العطوف/ أيها العقل الصافي/ قرّبا اللوحة فهي جزء مني[2]

وكيف هي شجرة الزيتون عند شاعرنا، هل يراها كما نراها ؟ ويحس بها كما نحس ؟ أم ماذا؟ يقول :

بماذا أشبه هذه الجميلة المهيبة الضاربة في الأرض المقدسة، حيث تحت كل حجر ملاك/ هذه التي تختزن في إهابها الخشن/ حرارة آلاف الشموس التي رصدت الوطن/ بماذا أشبه هذه الناهضة القوية/ بماذا أشبه هذه الشيخة الأم، التي كانت صبية واعدة/ خاطفة البصر قبل أن يرتد، المتكبرة التي لا تنحني، هذه المتقشفة/ عاشقة الثلج والريح، خازنة الضوء، الأمينة على حكايا السابلة/ وأسرار الناس/ تلك المسابح الطويلة، أُمَّات تسع وتسعين، المعلقة/ في عنق الزمن.... القبة الخضراء هذه، هذا الفسطاط الزيتوني/ تتدلى منه وحوله مئات من النموات الطويلة.. كما تتدلى مئات من الخصل/ المفتولة المزينة بالآلاف المضاعفة من حب الزمرّد

[1] المصدر السابق ص 15

[2] قصيدة (فن) من ديوان (أصداء في حديقة المعدن) ص 50

ثم يصور الشاعر غروب الشمس تصويرا عجيبا؛ فهي كراقصة أدّت دورها الأول (في النهار)، وعند بدء العرض الثاني (الليلي) تخلع (شلحتها) الحمراء الدامية كالكرز فوق المسرح والمسرح في بيروت، هو المدينة وهو البحر :

تتعرى من شلحتها ترميها فوق المسرح/ أرأيت دماء تسري في إسفنجة ثلج/ أو لون الكرز القاني في مطلع تموز ؟/ هو ذا لون المِجسد، لون مسفوح في غير أناقة/ كالجرح الباكي في صدر حمام يهوي نحو الغدران الرقراقة [1]

2- **الحب والمرأة :**

إن المتصفح لما كتب (أديب) من شعر يرى في كل إصدار قصائد تتحدث عن المرأة وعن عاطفة الحب. وقد أحب شاعرنا أن ينظر للأمر منذ بدء الخلق والتكوين:

وبعد أن صمم حواء/ قال لها: أيتها البؤرة المتوهجة "كوني"/ وكانت المرأة الجميلة./ زينة أريدك وفتنة/ ونسيما يهب الأجنحة روح الحركة/ وعطرًا ينسي القلب المحطوم بشقوته رائحة الحنوط وطنين الذباب/ إرادتي قالت: "كوني" وكانت المرأة الجميلة، عزاء الرجل وخمرة قلبه/ سلوته وتذكره الموصول لطين ليس كالطين قد صُوِّر/ فيه من الضوء أكثر، وأجلى مما قد تحمله الشموس الحائلة/ إلى أعين باردة وكرات جرداء[2]

من الواضح أن الشاعر يرى في المرأة، أعجوبة وتميزًا في الخلق فهي بؤرة من الضوء المتوهج وهي المحرك للنشاط البشري، وهي التي تنسي آدم مصيبة الموت ورائحة الحنوط وطنين الذباب. وإذا قال ديكارت (أنا أفكر، إذن أنا موجود) فيحلو لشاعرنا ان يقول (أنا أحب، أذن أنا موجود) وهو يخاطبها بقوله :

حبيني كي أنسى فيكِ عذاب الليل ودرب الأحزان/ لكي أجد وجودي في وجدانك/ أنت الترياق، البلسم للمدنف قلبي

[1](ذات ليلة في بيروت)، من ديوان(صلوات على مذبح الحياة والموت) ص 8

[2] قصيدة (كوني) من ديوان : (الجديد والمعاد تحت شرفة شهرزاد) ص 28

وهي عنده (مريم)من نوع آخر:

هزي في نخيلي يتساقط رُطبًا/ وأكن شيئا... إنسأنًا.../ رجلاً... فرسا يصهل يشفيني حبك لاشيء سواه/ فكوني لي يا ضد الموت الخطاف [1]

وإن صعقة الحب عند الشاعر (أديب) أشد وأفتك من صعقة الكهرباء:

نار أم صبوة أنثى في عينيك تنادي/ تيار أم حجب ترقيني ياليلاي؟ اتكهرب، يأكلني الترنيق الفاتر/ تحملني الأرجوحة تحملني... تقذف بي أشلاء في الدرب.. تتساءل عني الأرصفة الرمداء/ تواسيني امرأة : قم باسم الله.../ يواسيني شيخ : تنهض إما مجدّت الربْ

لقد اضر الهوى بالشاعر، واشتدت عليه تباريح الصبابة حتى غدا للمذبح شمعا ومباخر:

أشكو ليلاي، أضر بي الوجد الصادي/ في قلبي أَحرق غابات الليل العاتي/ لف الدنيا بي، دوخني أطعمني للمذبح شمعا/ ومباخر تنفخُ في وجه الريح صبابات القلبْ [2]

يحاول شاعرنا الخلاص من هذا الحب والفكاك من أسره، فلا يستطيع رغم كل محاولاته:

فكرت فيك يا عميقة الحزام/ فكرت أن أفك أغلالي وأنسحبْ من حلقة التواجد المرير/ طالعت أسفارا عن الحلال والحرام/ شاركت في التطواف واللعب/ أيقظت في نفسي حماسة الضمير/ لكنها يا فرحتي، لم تستجب[3]

ولنا أن نتساءل لماذا لم يفلح الشاعر في محاولات الخلاص هذه ؟ ربما يأتينا منه الجواب,: لأن المرأة عنده (أحلى الملكات)[4]:

[1] قصيدة (حبيبتي أنا بحاجة اليك) من ديوان (طير أزرق وجذوع بنية) ص 79

[2] قصيدة (التنوير) من ديوان (صلوات على مذبح الحياة والموت) ص 16

[3] قصيدة (لامفر) من ديوان (أكمام تحت الجليد) ص 96

[4] قصيدة (كلمات للذكرى) من ديوان (أكمام تحت الجليد)ص 83

حلوة أنت، وهذي القبرات/ تسأل النردين والدفلة عنك/ منك هذا الوجد... يا حلوة منك/ صدقيني، صدقيني أنت أحلى الملكات/ من سهوب الشرق عيناك وكل الثمرات.. نسغ هذا الجسد الفائر والماء الفرات

وفي ختام الحديث عن الحب والمرأة لا بد لنا من وقفة نبين من خلالها حب الشاعر لوطنه حبا رمزيًا التفافيًا عبر نساء محبوبات مشهورات[1] في الأدب والتاريخ :

ياليلى، يالبنى، يا إلزا/ عفراء، وجولييت، يا ماتيلدا/ توجن قائمة الشرف الرفيع/ باسم حبيبة قلبي المجرح/ وحبيبة كل الناس: (بالستا)[2]/ وبالستا هي فلسطين

ولا بد لنا أخيرًا من الإشارة إلى أن الشاعر يعتبر (الأرض) (أُمًا أولى)، ولعل هذه النظرة تتفق مع فكرة خلق آدم من (طين)، غير أنها لدى الشاعر لها دلالة الحب العميق....

"سنقول لها : دعينا نَذُبْ فيك../ فأنت أمنا التي إلى حضنها نعود عندما تغطس شموسنا في البحر/ بهذا أوحى[1] إلى رسله الّرب ولي، هو إله التشكيل الذي لا ينتهي[3]

3- الحياة والموت :

يوضح الشاعر أديب رفيق نظرته إلى الحياة والموت في ديوانه (طير أزرق) فيقول: "إن مشكلة الموت – كما سيبدو للقارئ – تؤرقني، وهي تطفو على سطح ما أكتب بين الفينة والأخرى. إن ضربات القدر موجعة وقاسية لا رحمة فيها، ولا تبصر في معظم الأحيان"[4] وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يضيف:"لذلك عليّ وعلى غيري من الأدباء، أن يتوفروا على إبداع ما يجعل الناس يقبلون على الحياة ".

---

[1] حبيبات مشهورات لشعراء حبٍ مشهورين وهم على التوالي : قيس بن الملوح، قيس بن ذريح، أراغون، عروة بن الورد، روميو، نيرودا.

[2] قصيدة (بالستا) من ديوان (ورد وزرد) ص 59

[3] قصيدة (تشكيل) من ديوان (أصداء من حديقة المعدن) ص 117

[4] المقدمة، من ديوان (طير أزرق وجذوع بنية) ص 2

وأول ما ابدأ به الحديث عن (الحياة والموت) عند الشاعر أديب هو الإشارة إلى قصيدة موتٍ (شخصية) قالها الشاعر في رثاء أحد أبنائه الذي قضى بموت فجائي. فكانت المصيبة صدمة كبيرة، وفيضًا من أحاسيس الحزن سكبها الوالد بقلم شاعر مكلوم في قصيدة طويلة في اثني عشر جزءًا[1] :

طير من ماس أزرقْ/ من تحت الصخر المغلقْ/ يأتيني كل صباحْ ينقر شباكي... يتوسط حضرة بيتي... ويرنّم أغنية/ يغمرني بالعطر الفواحْ/ أغنية جذلى، فيها نغم من حزن/ تغمر وجداني بالبرقِ، وتغمره بالمزنْ/ طير أزرق/ أرأيت الصحراء تهب عليها ريح البحر/ مثقلةً برحيق علويٍّ، مجلوٍّ... يتفجّر بالحب وبالخيرْ؟/ هو ذا، هو هذا، هو ذاك الطير الأزرق/ ...../ فأرى طيفًا ضوئيًا، وأرى الألوان... وأرى الفولاذ البارد قد أورقْ/ طير أزرقْ... طير ازرقْ/ وحين يرفُّ... ويشلح لي -للذكرى- أغنية... ينقر قلبي المحرقْ/ ويعود شهابا محترقًا، محتميًا بحنين الصخر/ طير أزرقْ

وننتقل مسرعين إلى الموت المشرّف في سبيل غاية عليا، هي الشهادة والاستشهاد. ولنأخذ نص (إلى الأبد)[2] الذي يصلح لأن يقال في أي شهيد. وقد اتبع فيه الشاعر تقنية ثقفها عن الشاعر الإسباني (لوركا)، حينما رثى مُصارع الثيران المشهور (أجنا ثيوس ميخاس)، فقد نهج هذا الشاعر طريقة المقاطع التي ينتهي كل مقطع فيها بعبارة : (لأنك متّ إلى الأبد)

أما أديب فقد أنهى كل مقطع مكون من أحد عشر سطرًا بعبارة : "لأنك حيٌّ إلى الأبد"

قمم الجبال.... وهذه الروابي الخضر/ التي شهدت الخليقة.... وتهجّت العربية منذ بدء التاريخ/ ثم أنصتت مبهورة لأصوات الأسلاف الشجعان... وهم يكتبون التاريخ تحت عين الله/ وهذه الشقائق التي نمت على الدم الفلسطيني.... وهذه

[1] في ثلاثين صفحة، من قصيدة (طائر الحب الأزرق) من ديوان (طير أزرق وجذوع بنية) ص 4

[2] من نص (إلى الأبد) من كتاب (أصداء في حديقة المعدن) ص 78

البحيرات من المخمل البري/ كل هذا يعرفك.... ولن تغيب عن ذاكرة الأبطال لأنك حي إلى الأبد

وإذا انتقلنا إلى قصائد رثاء معينة قيلت في مناسبات معينة باستشهاد شهيد مثلا، فإننا سنرى أوصافًا وإشارات ودلالات خصوصية؛ لا تخرج عن دائرة الخصوصية والمناسبة والاسم:

و(لينا) ارتفاع، شراعان، كفّان والهتان/ اندفاع كقديسة، وَمضةٌ في ثنايا الدخان

ويظل الوصف مستمرًا ليعمق معرفتنا بالشهيدة (لينا) ذات الخصوصية البطولية كطالبة ثائرة، لاحقها جنود الاحتلال واغتالوها على الدرج أمام بيتها. في أوائل السبعينيات من القرن الماضي. وعند (أديب) فإن جميع ميتات الشهداء ميتات مجزية مثمرة، ولذلك اختار العنوان "ثمر الدم" وثمر الدم عنده: الحرية والكرامة والاستقلال، وما إلى ذلك من القيم الوطنية الرفيعة، ولينا تحب الحياة لإخوانها، للتراب الحزين، وأجرى الشاعر على لسان لينا الكلام الآتي :

لذا كسرت خبزها للجياع وقالت:/ حلال عليكم دمي فاشربوا/ إنني صخرة الأشجرين [1] تفجرت بالماء/ حقل ببيسان، عصفورة في الجليل/ تشظَيّتُ لكنني لم أمتْ/ إنني في بريق العيون.... في الخبز، في الماء، في ثمر الصيف/ إني تجسدت فيكم، وفي الأرض... في خشب السنديان

وبصور رومانسية، يرثى الشاعر الشهيد طارق حنون من طولكرم، الذي استشهد في أحراش جرش فهو عنده خضرة الزيتون، وصفرة السنابل، والعقاب طار ثم حط واقتفى ضريبة الفخار، ثم رفّ رفّة الوداع فوق جبهته، ثم يقول :

يا واحة النخيل ظللي الجواد... قد كبا الجواد يا نخيل/ واقبليه يا سماء ممسكا برايته [2]

[1] إشارة إلى جبلي عيبال وجرزيم المطلين على مدينة نابلس

[2] من قصيدة (النسر المهاجر) من ديوان (صلوات على مذبح الحياة والموت)

وقد يبدو غريبًا لنا أن الشاعر أديب رفيق يعتبر الموت الذي هو نقيض الحياة والوجه الأسود لها سببا للإبداع والتفوق فيقول من قصيدة (الشبح):-

هو هذا الذي يملأنا بالرعب، ليفجر فينا الرغبة في الحياة/ فنبتكر ونبدع، ونخترع تحايلا على العدم، وهروبا منه

وأعجب من ذلك، أن نسمع الشاعر يتحدث مع الموت الذي يصفه بالكريه والعدو اللدود، ويعترف أنه سيحضر إليه ذات يوم، ولكنه يتوجه إليه برجاء واحد متواضع قائلاً :

أن تتجاوز جنائن الورد ومساكن الزهور/ وتترك الملائكة الصغار، ذوي الجباه الوضاءة/ وتبتعد عن ذوات الابتسامات الساحرة، والقدود الجميلة

ثم يتوجه إليه برجاء آخر (وهو قبل الأخير بمائة) :

أن لا تجعل رداءك الأسود المبرنق بالشؤم والعدم/ غشاء يحجب عني عيون النساء الأخاذة/ أو غطاء يواري حقول القمح، ومواكب الشجر، وأسراب النجوم[1]

عند ذاك ينقلب هذا العدو اللدود إلى الصديق الصدوق :

فأقبلْ ولا تهبْ، أقبلْ ولا تهبْ

رثا الشاعر رجلاً كان يعمل حمالاً وكناسًا في قصيدة نثرية طويلة نجد فيها الشاعر يهجو المجتمع لأنه لا يلتفت إلى حّمال[2] أو كنّاس لا في حياته ولا في موته[3].

4- موقف الشاعر من الحرب :

في قصائده التي تحدّث فيها عن الحرب والسلام، وظَّف الشاعر أديب، الألفاظ والتراكيب اللغوية التي تدور حول هذين المعنيين (الحرب والسلام) من مثل: (أغنياتي للسلام، الحمام)[1]،

[1] من ديوان (ورد وزرد) ص 52

[2] يشار إلى أن هناك قصيدة بعنوان رثاء حمال للشاعر عبد الرحيم محمود، عم أديب، ديوان (أبي الطيب) بجمع وتدقيق د. وليد جرار ص 92

[3] انظر قصيدة (هجوية) من ديوان " أصداء في حديقة الموت " ص 105

(التذمر، والإقرار بعدم جدوى الحرب، وقرع أجراس من حطين، تَحذُّر وتَذكَّر، ونسمع كلاما عن (ما تسادا) وما ترمز إليه في العسكرية الإسرائيلية، والجندي يطلب من صديقته أن تشعره بالراحة وأن تجعله ينسى بالنوم على ساعدها البض المريح، الحرب وويلاتها، ولا جدواها)[2].

في يوم من أيام سنة 1960م، من القرن الماضي، زار (أديب) صديقًا حميمًا موقوفًا في سجن نابلس المركزي، وعندما عاد إلى بيته من الزيارة كتب قصيدة بعنوان (الموقوف)، تحتوي على وصف للزائر والموقوف، وذكريات، وأحلام، وآمال، فكتب :

ناس على الدوار تسعى/ ساعةٌ في الرسغ جوعى/ وحمامْ/ ظلي طويل/ عدوة الوادي نخيل/ أغنياتي للسلامْ[3]

وفي قصيدة (الصدى)[4] بين الشاعر تبرم بعض الإسرائيلين من الحرب وويلاتها في حوار أجراه بين جندي إسرائيلي وصديقته :

التحيات. شلوم يا خبيبي/ أين كانت قطة الليلة/ عسكر الدولة عافوا حلل الموت/ وأحلام المنابر:/ لم تعد تصلح للسكرة والصحو على صمت المقابر/ شاه وجه الحرب/ شاه وجه الحرب/ غازليني/ إنني في دولة تحيا على وهم الحصان/ فافرشي لي ساعدا بضًّا مريحا/ ثم قصي قصة عن يوناثان

وفي الحديث عن السلام الحقيقي الذي تقوم من أجل تحقيقه حروب صغرى وعظمى والذي تنتهي بتحقيقه عذابات وآلام الشعوب، وتطوى صفحات تاريخه المعمد بالدم، نسمع شاعرنا – من ديوان (الخريف) يخاطب بعاطفة جياشة حمامة السلام قائلا :

---

[1] من قصيدة (الموقوف) من ديوان (صلوات على مذبح الحياة والموت) ص 7 و ص 37

[2] من قصيدة (الصدى) من ديوان (صلوات على مذبح الحياة والموت) ص 83

[3] قصيدة(الموقوف)من ديوان (صلوات على مذبح الحياة والموت) ص 37

[4] من ديوان (صلوات على مذبح الحياة والموت) ص 83

أما أنت فاسبحي في الأفق العالي/ حيث تغرب الشمس/ هناك يكتسي الأفق بالأرجوان المذهّب/ ثم عودي أدراجك، وطيري نحو مشرق الشمس/ لتبددي بقية العتمة/ وتسحبي بقية أشعة الضوء بمنقارك/ بعد أن تلقي غصن زيتون على وطني الحبيب

وحين قرأت قصيدة (المستنقع)[1] وهي من قصائد النثر، تذكرت قول الشاعر العربي:

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

فقد بين فيها الشاعر (أديب) تعميم الرغبة في الحرب، لدى الناس، حيث يُضحّى البشر بالأيدي والقلوب والعيون، وكل غال ونفيس من اجل الموت المنتصر على الجميع، وينهي الشاعر القصيدة بوصف مأساوي مريع :

في هذا العالم المراوغ القاسي/ أخوة لي/ منهم الأبيض ومنهم الأسود والأصفر/ هؤلاء يعتمرون بطاسات الحديد المبرقع/ ويحدقون في عدسات المناظير/ صاروا يُسخّرون أيديهم، وقلوبهم، وعيونهم/ (ويرهنونها) أو يبيعونها للموت المنتصر

ونقرأ في موضع آخر من القصيدة :

ولقد رأيت مرة في مستنقع الموت/ آلاف السلاحف والدناصير والضفادع وبركًا من الدم/ غطس فيها الألوان، بلا أطراف حينا، وحينا بلا رؤوس/ ورأيت الطمي الذي (نبز) منه الإنسان يوما... قد أصبح مقرا للبشر وموئلا لهم

وفي العودة إلى قصيدة (منيفستو العنف والدم) نسمع الشاعر يصرخ بأعلى صوته

آهٍ من دين الحرب، وربِّ الحرب

إنها قمة الكراهية والرفض ومنتهى التوجع من هذا السلوك البشري الوحشي الذي طور فن القتل، وعمم مفهوم القتل، وأفتى بالقتل وهو يصلي الفرض مع النفل.

[1] من ديوان (ورد وزرد) ص 48

بوار الحضارة:

يرى الشاعر أن هذه الحضارة التي نعيشها بائرة فاسدة، تعسة لأسباب كثيرة، فعلاوة على الحروب التي عاينها الشاعر، أو قرأ عنها هناك ما اصطلح على تسميته بالعنف والإرهاب، أو العنف والدم هذا الذي شغل العالم وأضر بالحضارة، وجلب الخوف إلى البشر، وليس مقصورًا أن يصدر الإرهاب عن أفراد أو مافيات وعالم سفلى، فهناك إرهاب الدولة. ويرى شاعرنا كذلك أن الإنسان لا يزال على خط البداية، وأنه لم يتطور، ولم يتحسن بالأديان ونداءات المصلحين والفلاسفة في تلك الإشارة الواضحة للجريمة التي اقترفها قابيل بحق أخيه هابيل:

فَليرَ الإنسان أين يقف/ انه لا يزال على خط البداية/ حيث الصرخة الأولى/ من وحش الغابة/ أو من ذلك المصعوق ببرق الحلم/ حينما تلقّى ضربة من أخيه الحاقد/ بدفقة من دمه البريء[1]

إذًا لا بد من مواجهة ومجابهة الإرهاب واقتلاعه من جذوره وأصوله، بشتى الطرق المتاحة، فهو يسلط عليه حيوان (الغريري)، هذا الحيوان الذي يقال فيه بأنه يهاجم الأعضاء التناسلية التي تورث الجينات في الإنسان :

من هذا المخلوق المشوه... الذي يُرى في الحدائق مرة... وعلى الأبواب مرة/ وفي المساجد والكنائس مرة ثالثة..... هل هو وثن أم طوطم ؟/ هل هو ربٌ يُطاع..... أم إله يعبد؟!/ من كان، ومهما كان، وكيف كان/ فإن حيوان "الغريري" في انتظاره/ لماذا؟ يجيب الشاعر :/ **لأن جيناته تُورث الشكل المشوه... وكذلك العنف والإرهاب**[2]

[1] من قصيدة (خط البداية) من ديوان (ورد وزرد) ص 22

[2] قصيدة جينات من ديوان (ورد وزرد) ص 14

أما السبب الثاني المهم والذي يسهم في بوار الحضارة وفسادها فهو هذا الفقر، الذي يكاد يكون عامًا في بعض البلدان والقارات [1] ويرى (أديب) في الجوع والفقر ذلك (العائل) الذي ينمو على جذعه كل من الجهل والمرض اللذين يصبحان أرضا خصبة للعنف والدم والحروب المدمرة لكل مظاهر الحضارة في ديوان (أوراق الخريف)، نرى الصورة الرهيبة التالية:

قرود تتهابر حول كرسي واحد/ لن يجد إلا الجماجم/ الهياكل العظمية/ مكانا يستوي عليه/ بينما طوابير الحفاة والجياع/ مطبقة أسنانها وهنًا وجوعًا/ تمد أذرعًا معروقة لتلمس مئزر المسيح الدامي

ومما يتصل بهذا الأمر حزن الشاعر وإشفاقه على الضائعين من الجيل الجديد نلمح ذلك بوضوح في قوله:

أية حسرة!!/ الورد الناضر يُدعك بالأقدام على الأرصفة/ وهياكل السيارات، مع التكعيبات الخلفية/ بأصواتها الزرقاء تدعوهم/ هيا أيها (الضائعون) أنا أريحكم، أنا أباركككم[2]

وقد أفاض الشاعر (أديب) الكلام عن هذا الموضوع في مواطن كثيرة من أدبه وقد أحب أن يثبت الأسطر التالية التي تصور فيما تصور مأساة من مآسي الفقر والجوع، تكون في إفريقيا وقد تكون يوما في قارة أخرى:

ما هذه الجماهير الواهنة... التي تشق الأرض الغبراء.../ حاملة مخلوقات بائسة، فغرت أفواها مشققة/ يتراكم عليها الذباب، وتحوم حولها الطيور منتوفة القوادم/ بينما تستعد أشداق الحيوانات الهزيلة لتنظيف المكان من الِرمم/ جماهير مرعوبة تحث الخطى نحو المجهول، وتسير نحو هاوية العدم/ تظنها

[1] يرى الشاعر أديب رفيق أن الأديب الذي يتجاوز في أدبه الجوع والفقر المهلكين للبشرية فلا يلاحق ولا يصف ولا يطرح الحلول ولا يثور ولا يغضب – بأنه أديب يفتقر إلى الإنسانية وإن ادّعاها. (في حديث مع الشاعر)

[2] من ديوان (وردة بين الرماد) ص 14

أعوادًا تتردد في أنفاس البؤس بالأنين المتقطع/ أو مومياءات، انشقت عنها المكامن في أودية الموت[1] **...**

وإن كان لي من كلام يضاف في هذا المنحى فهو ما نجده في مذكرات الشاعر (أديب) من أدعية وتمنيات تمس شغاف القلب، إذ يتمنى فيه أن يمتد به العمر قائلا:"حتى أرى الخبز والماء والهواء والضوء ملكا مبذولا للجميع.... لقد خلقنا للحياة... الله محبة، والحياة وهبة".

قصائد يسارية:

رأينا إن الشاعر أديب، قد ضمن بعض إصداراته الشعرية قصائد في الغزل، وقد فعل ذلك على هذا المستوى الضيق لينفي عن نفسه، إنه شاعر حب، بل ليؤكد أنه شاعر وطني. وبمثل ذلك الاقتضاب، فَعَلَ مع الشعر اليساري، فقد ضمن بعض دواوينه قصائد يسارية؛ ففي ديوان (صلوات على مذبح الحياة والموت) وردت قصيدة " ماشا يوم الأحد "[2]

شجر الدردار في الساحة أورق... خلعت معطفها الثلجي أشجار البتولا/ واستحمت في ضياء الشمس صبحا... قال دوريٌّ إلى الزهرة مرحى/ إن ماشا تسلق البيض... وفي الأكواب ماشا تسكب الشاي على ذكر الحبيب

وهناك قصيدة (نوبة رجوع) :[3]

"سانتا ماريا... خانني الحفار... ما شيد صرحي... خانني الحفار القاني.../ وفي قعر الضريح.../ لم يزوّدني بأوراق من الحور، وثلج وكتاب... بيضة الرُّخ تعريها الأفاعي/ والطواويس وقطعان الذئاب... خانني الحفار... لم ينفخ بصور من نحاس يوم موتي/ لم يشيعني رفاقي... لم ينكس فوق رأسي علم الشعب... ولم ينشدوا نيرودا/ طار عنا قمر الثلج وغاب

[1] قصيدة (أقمار) من (أصداء قصيدة المعدن) ص 61

[2] قصيدة (ماشا يوم الأحد) من ديوان (صلوات على مذبح الحياة والموت) ص 62

[3] قصيدة (نوبة رجوع) الديوان السابق ص 115

أما عن (لوركا) فقد أورد الشاعر هذا المقطع من قصيدة بعنوان "شاعر فارس"[1]

لك مني... وردة حمراء من روض التمني... وظلال، وثمار ووتر/ عرشك المصنوع من ماء المطر.... تتدلى منه في الصبح ضفيرة/ تتدلى فوق حوض الأرجوان... من تُرى علّقها

وكتب الشاعر أديب على لسان (اللندي)، الذي قتل مع نهاية الحكم الماركسي في تشيلي

حزمة شائكة الأغصان... إكليلا لعرسي... غضّة الأوراق من كف المسيح/ شجر الدفلة يبكيني... ويبكي فوق رأسي شجرُ الشيح[2]

ونقرأ قصائد عن (جيفارا) وعن المحامية (فيليتسيا لانجر)... ومهما حاول الشاعر أن يخفي يساريته في تلك الفترة، فانه يظل الشاعر المُطل على عالم اليسار ولا عجب في ذلك لأن المثقفين في فترة حرجة من تاريخ قضيتنا، رأوا - خطأ أو صوابًا- أن الدول الاشتراكية تقف في صفهم مدافعة عن حقوق الشعوب، وحقوق الفقراء في هذا العالم فهو يرى في (لوركا) فكرا وشاعرية، وكذلك يجد تعاطفًا مع ميتته الدرامية، وهو يرى أن المحامية (لانجر) كانت تقف في صف المعتقلين وتدافع عنهم، ويرى في جيفارا الثائر الكوني : (روح الثوّار، وسفر الثورة، ونديم الشمس، صديق الحرية، وعطر المطر الأول)[3].

الأقنعة :

كتب الشاعر أديب رفيق خمسًا وثلاثين قصيدة، مما يسميه قصائد الأقنعة فالشاعر، عند أديب يأخذ قناع الشاعر الآخر وينظر من خلاله مازجا تجربته وتجربة الأخر ويعرض ذلك بشكل غير مباشر، بحيث يطرح للمعالجة، قضية ما، أو رؤية ما، أو نظرة ما تجاه حدث

[1] قصيدة (لوركا) من ديوان (طير ازرق وجذوع بنية) ص 63

[2] قصيدة (توبة رجوع) من ديوان (صلوات على مذبح الحياة والموت) ص 114

[3] من قصيدة (قديس) من (ديوان جفرا وقصائد أخرى) ص 8

سياسي أو عاطفي: ففي قصيدة (الوقوف في الزوايا الحرجة)[1] يأخذ منها قناع الشاعر امرئ القيس يقول :

سمرات الحي من فوقي مظلة... بينما تجثو على الرمل نعامة.../ شرب الضليل في الصبح مدامه/ وسرى من قيصر يستجدي الكرامة... مات منسيا.../ وعلى المربط تحت النجم قد فض لجامه... هيكلُ الفرسان في أضلاع نغلة

قصائد الربيع العربي:

لجأ أديب في قصائد الربيع العربي إلى أسلوب الرمز الغامض، متأثرا كما يقول، بأسلوب ثقفهُ من الشاعر الإنجليزي (ديلون ثوماس) من شعراء القرن العشرين، وكان ذلك في قصيدة أكتوبر، حيث استخدم نباتات الطبيعة لتعبر عما يجول في خاطره.

شجرات الشوك تتسلق التلال... صاعدة نحو القمة المشرقة بهمة/ كي ترى من بعيد العوسج المتحفز... يرتوي من عصارة قلبي الحزين/ تحدثْ أيها السنديان بالرؤيا... ويا شجر الزان انطق بالكلمات/ ذات الأغصان الصائتة الصلبة... بعيدًا عن أحرف العلة/ شجر القيقب المشتعل في المساء... يستمع إلى موعظة الشمس المقدسة/ ذاك في الشتاء... أما في الصيف الطويل... فرمال الشاطئ تتحدث عن أعشاب البحر/ الربيع الطفل يتمتم، ونحل الأجران الورقية... يأخذ وجبته من زهر اللوتس/ أعشاب، وطحالب وعوالق... تلتف على تاج الوردة في الماء[2]

تلخيص:

هذا هو أديب رفيق محمود، الملتزم بقضايا أمته ووطنه، الملتفت إلى العالم والإنسانية، المقاوم بالكلمة، واصف المدن في إطار المكان والخصوصيات مما يمكن أن يعتبر فتحا وريادة، هو المحب المقدس للمرأة، الممجد للطبيعة، عدو الحرب، الداعي إلى السلام العادل.. الذي رفض لعبة الدم، وتناول الحضارة البائرة المعقدة ونعى عليها الفقر والجوع وضياع الإنسان.

[1] الجزء الرابع عشر من قصيدة (الوقوف في الزوايا الحرجة) من ديوان (أكمام تحت الجليد) ص 50

[2] قصيدة (خطاب) من ديوان (ورد وزرد) ص 61

وانصهر في هموم شعبه فوصف اللجوء والهجرة وهدم البيوت وبناء (المكعبات) والقتل والسجون ومصادرة الأرض والإنسان.

وأديب الشاعر والناثر[1] كتب الشعر التقليدي السيماتري وشعر التفعيلة وقصيدة النثر والرواية والنصوص الأدبية ومارس النقد الأدبي والترجمة، وهو في كل ذلك متعصب للحداثة؛ فوظف الرموز والتاريخ والأساطير ومخزونه الثقافي الواسع -عربيا وغربيا-

في تقنيات الحداثة في الشعر بخاصة والنثر بعامة. أما لغته فهي قوية معبرة وفيها جرأة بالتصرف في الألفاظ حتى انه رفع الألفاظ العامية التي استعملها ووضعها في مصاف الألفاظ الفصيحة. وكان يهدف في كتاباته إلى تحقيق (المتعة والجمال والفائدة)، لقرائه في ثوب من (الصدق الواقعي والفني).

لقد تعاطى أديب حرفة الكتابة أكثر من نصف قرن وبيده مصباح ديوجين وصلواته في حديقة المعدن وليله طويل يبحث له عن إصباحٍ أمثل.

[1] للشاعر أديب رفيق أعمال نثرية متنوعة، ذكرتها في قائمة المصادر، وقد كانت جزءًا من هذا البحث، ولم يتسن لي أن أثبتها فيه لأن الفسحة "للكتابة محددة".

المصادر والمراجع

المصادر:

لقد اعتمدت في هذه الدراسة عن الأديب (أديب رفيق) على مصادرها في مظانها الأولى، وقد صَنفتُ هذه المصادر على هذا النحو:

أولاً: الدواوين الشعرية الصادرة:

محمود، أديب رفيق. **صلوات على مذبح الحياة والموت**. مكتب صلاح الدين، القدس 1979.

----------. **أحلام الدائرة الصغيرة**. د.م: مطبعة الحكيم ، جمعية الصوت، 1984.

----------. **طير ازرق وجذوع بنية**. طولكرم: مطبعة القدس، 1994.

----------. **أكمام تحت الجليد**. طولكرم: مطبعة القدس، 1995.

----------. **وردة بين الرماد**. طولكرم: مطبعة القدس، 1998.

----------. **جفرا وقصائد أخرى**. طولكرم: مطبعة القدس، 2008.

ثانيًا : الدواوين الشعرية المعدة للإصدار:

----------. رباعيات، الانتفاضة الأولى 1994.

----------. الوتر الخامس، 2000.

----------. أوراق الخريف، 2011.

----------. ورد وزرد، 2012.

ثالثًا:- الإصدارات النثرية:

----------. **الحصار**، رواية، مطبعة الوحدة، نابلس 1980.

----------. **عبد الرحيم محمود، بين الوفاء والذكرى** بإعداد مشترك مع طارق عبد الكريم محمود، الناصرة : الصوت، 1985.

----------. **أصداء في حديقة المعدن**، نصوص ، وزراة الثقافة الفلسطينية، 2008.

----------. **الجديد والمعاد تحت شرفة شهرزاد**، طولكرم: مطبعة القدس، 2009.

----------. **التجربة**، رواية، إصدار مكتب الرئاسة الفلسطينية، 2009

رابعًا : الأعمال النثرية المعدة للإصدار :

محمود، أديب رفيق، **راشد حسين : بين الشاعرية والرسالة** (مخطوط باليد) 1985.

----------. **يوميات ومذكرات** ، 2003.

----------. **كلمات في الأدب**، 2008.

----------. **جولة في حديقة الشعر الإنجليزي**، 2009.

----------. **صديقتي القراءة**، 2010.

المراجع:

أبو حنا، حنا، **روحي على راحتي، ديوان عبد الرحيم محمود**، مركز إحياء التراث، الطيبة 1985.

جرار، وليد صادق، **شاعران من جبل النار**، شركة الشرق الأوسط للطباعة، عمان، 1985.

كتاني، ياسين، **ستة روائيين حداثيين**، مجمع القاسمي للغة العربية، أكاديمية القاسمي 2011.

مواسي، فاروق، **القدس في الشعر الفلسطيني الحديث**، منشورات مواقف (3)، الناصرة، 1996

مواسي، فاروق، **القدس في الشعر الفلسطيني الحديث** الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة الفلسطينية، 2010.